(إسرائيل) 2017: إيران على الحدود وبن سلمان يفشل في جلب ابو مازن الى الطاولة

يوم الاثنين، في الاول من يناير/ كانون الثاني، سيضع اللواء احتياط عاموس يدلين، رئيس معهد بحوث الامن القومي، على طاولة رئيس الدولة التقويم الاستراتيجي للمعهد للعام 2018. في السنوات الاخيرة قدر المعهد بان احتمالات الحرب التي تكون اسرائيل مشاركة فيها، متدنية للغاية، تكاد تكون صفرا. اما الوضع فقد تغير، كما سيقول يدلين. فحين تكون ايران ترابط بقوات لها في مواجهة اسرائيل في الجولان، وحين تعلن اسرائيل بانها لن تسمح لهذه العملية أن تحصل، يتعاظم احتمال الحرب.

في العالم توجوا بوتين كالمنتصر الاكبر للعام 2017، ولكن من ناحية اسرائيل فان المنتصرة هي ايران. مع بوتين نتدبر أمرنا، وكذا مع الاسد. ولكن خامينئي هو جوزة قاسية. سنة تنتهي بتثبيت وجود عسكري ايراني على حدود اسرائيل لا يمكنها أن تعتبر سنة طيبة.

2017 تترك خلفها إرثا غير طيب في عدة مسائل اخرى، دوية ومحلية. هذا لن يمنع مركز الليكود من الاحتفال في نهاية السنة بعد غد، في قاعة أفنيو في ايربورت ستي. "هم سيواصلون الكتابة عن السيجار؛ نحن سنواصل كتابة التاريخ"، هكذا سجل على الدعوة الاحتفالية.

عمليا، يدور الحديث عن جولة اخرى، الجولة الثالثة أو الرابعة، في المعركة التاريخية بين نتنياهو وميني نفتالي. في الجولة السابقة كانت الذريعة هي عيد الهانوكا. اشعلنا الشموع في كفار همكابيا وأعلنا بان الشرطة هي تنك. في هذه الجولة سنحتفل باليوم المقدس المسيحي السلفستر، توقيت مسل جدا لحزب باع ناخبيه للاحزاب الاصولية. وسيبدأ الاحتفال في السادسة مساء. في الثامنة سنشتم ملتشن وفي منتصف الليل سنفتح زجاجات الشمبانيا الوردية.

في 20 كانون الثاني 2017 أدى دونالد ترامب اليمين القانونية الرئيس الـ45 للولايات المتحدة. والفرضية هي أنه سيتصرف مثلما تصرف أسلافه، سينتقل من الاطراف الى المركز، يصالح الخصوم، يتصرف رسميا، رئاسيا.

حصل عكس كل هذا. حتى اليوم لم يحسم السؤال هل ترامب هو عبقري يفهم أكثر من الجميع ما في قلوب

ناخبيه أم أنه مجنون القرية. لا يوجد أمريكي لم يحدد رأيا قاطعا، لا لبس فيه عن الرجل. وتتراوح الاراء من الاعجاب الذي لا حد له حتى المقت الجسدي. في الوسط تتراكض المؤسسة الجمهورية، التي ترى فيه احيانا خطرا وجوديا واحيانا اخرى غبيا مجديا.

ترامب هو الرئيس الرابع على التوالي الذي يعتبر "غير شرعي" في نظر جزء كبير من الامريكيين. وقد تجاوزت المعارضة الخلاف على الفكر او السياسة. وهي تعتمد على اساس اخلاقي. كلينتون كان في نظر كارهيه خائنا وفاسدا؛ بوش الابن سرق الانتخابات؛ اوباما متخف: فقد ولد بلون الجلدة غير الصحيح، في الدولة غير الصحيحة وفي الدين غير الصحيح.

سحابة اللاشرعية عذبت كلينتون وبوش وأوباما. اما ترامب فهي تشعل ناره. لست أنا غير الشرعي، يعلن لنصف الامريكيين، ان لم يكن لمعظمهم: أنتم غير شرعيين. ترامب ليس الشعبوي الاول الذي بنى على التحريض ضد اجزاء من السكان؛ هو الشعبوي الاول الذي يبني على التحريض ضد الاغلبية.

متلازمة ترامب أثرت على اسرائيل بطرق مختلف ومفاجئة. سياسته الخارجية تلخصت في شعار "أمريكا أولا". من ناحية الامريكيين، كانت النتيجة حل الاتفاقات التجارية مع كندا والمكسيك ومع دول جنوب شرق آسيا، الهجوم على الصين الذي استبدل بالاستسلام والانبطاح، تهديدات الحرب تجاه كوريا الشمالية، اضعاف الناتو وتسلم الشرق الاوسط واوكرانيا الى ايدي بوتين. انسحاب الولايات المتحدة من مكانتها ومسؤوليتها ككبرى القوى العظمى بدأ في عهد اوباما.

لقد أكثر ترامب من التغريد ضد سلفه، ولكنه عمليا تبنى سياسته. الضرر الفوري، من ناحيتنا، كان الانتصار الايراني في سوريا، الذي تحقق بالمساعدة المباشرة من امريكا وتجسد بسبب غيابها. في المكان الذي احتجنا فيه الى امريكا في 2017 اختارت الغياب.

في كل ما يتعلق بالنزاع الاسرائيلي – الفلسطيني عمل ترامب في 2017 كعظيم اصدقاء حكومة اسرائيل. كل من يؤمن بان النزاع هو لعبة مبلغها الصفر، إما نحن أو هم، يجب أن يغني له اغاني المجد، وان يسمي على اسمه محطة قطار خفيف لن تقوم في أي مرة، ويسمي مستوطنة على اسمه. تعيين كوشنر وغرينبلت، خطة السلام التي ماتت في ولادتها والنهاية العظمى، الاعتراف بالقدس كعاصمة، منح كل هذا حكومة اسرائيل فترة زمنية معفية من الضغوط. وانتقلت المسيرة السلمية من الثلاجة الى الفريزر.

كما أن الدفاع عن اسرائيل في المؤسسات الدولية اجتاز تحولا. فلم يعد هذا دفاعا سلبيا من خلال الفيتو في مجلس الامن، بل دفاع ناشط، من خلال التهديد بالعقوبات المالية، المقاطعة والانسحاب. ان العناق الامريكي حار ودافيء ومقيد. ومن شأنه ان يتبين كعناق دب.

اليونسكو مثلا. فالانسحاب من اليونسكو لن يضر أمريكا في شيء، أم إسرائيل فهو سيضر بل وسيضر جدا. ولكن عندما تعلن امريكا بانها ستنسحب كاحتجاج على التصويت ضد اسرائيل، لا يكون امامنا مفر غير السير في اعقابها. لقد تأخر نتنياهو قدر ما يستطيع، ولكن في النهاية اعلن باننا سننسحب في نهاية السنة القادمة.

لقد التقت شعبوية ترامب بنا في مكان آخر، بعيد جدا عن نزاعات الشرق الاوسط. والمواد الصلبة في الحركة التي حملها ترامب على ظهرها، مصابة بالعنصرية واللاسامية.

في طرفه تصعد مزدهرة ميليشيات نازية جديدة. والخليط بين الاراء اللاسامية والدعم المتحمس لاسرائيل وحربها ضد المسلمين هو ظاهرة سائدة في اوروبا. رئيس وزراء هنغاريا فيكتور اوربان يقف على رأس حركة كهذه، تأسست في العهد النازي، وهكذا ايضا مستشار النمسا الشاب سباستيان كورتس.

والجديد هو في دخول هذه الحركات الى التيار المركزي، المشروع، للسياسة الامريكية، برعاية ترامب ومقربيه. معظم اليهود في امريكا يتعاملون مع هذه الظاهرة كتهديد وجودي. أما حكومة اسرائيل فلا مبالية.

إن التأثير الاكبر لترامب على حياتنا هذه السنة كان في تبني الترامبية كأمر عادي. ولكن قبل أن اصل اليها، يجدر بي أن اكرس بعض الوقت لشخصية اخرى، لا تقل تشويقا، طلبت على حياتنا هذه السنة: الامير محمد بن سلمان.

يد الملك

محمد بن سلمان، 32 سنة، عين في حزيران 2017 وليا للعهد في السعودية. الامريكيون يسمونه بالاحرف الاولى لاسمه بالانجليزية: MBS. أبوه، الملك سلمان مريض ولا يؤدي مهامه. ومن كل ناحية عملية، فان الامير هو الملك.

السلالة الملكية السعودية تميزت بالمحافظة، الانغلاق، السلبية، الاستسلام للصيغة المتطرفة للاسلام الوهابي والتعاون، طوعا أو كرها، مع منظمات ارهاب سنية وعلى رأسها القاعدة. أما MBS فيدعي بانه عكس كل هذا.

لديه مزاج ثوري وأفكار راديكالية.

هدفه الاول كان الشيوخ. فقد اعتقل المئات منهم. اما للاخرين فقد أملى عليهم برنامجا دينيا جديدا، بالتعابير السعودية يعتبر "سوبر ليبرالي"، يكاد يكون سائبا. وهو يستند الى القرآن، بالطبع. اذا عرفنا كيف نبحث، يمكن ان نجد ليبرالية في القرآن أيضا. الأوليات اللواتي شعرن بالثورة هن النساء. بعدهن جاء الشباب. MBS هو بطلهم.

الهدف الثاني في الثورة كان اصحاب المال، جزء كبير منهم اقرباء عائلة. وقد اعتقلوا واحتجزوا كمعتقلين في فندق ريتز كارلتون الفاخر في الرياض. واتهموا بجرائم الفساد، وهو ادعاء استقبل ببعض الشك، على خلفية حقيقة أن الفساد في السعودية هو أمر عادي. وكان الهدف مزدوجا: ان يريهم من هو السيد، وان ينتزع منهم المال لصندوق المملكة الفارغ. وكانت الفدية 100 مليار دولار.

مال النفط السعودي مول على مدى السنين البنية التحتية الدينية الاجتماعية السنية في أرجاء العالم، مساجد ومؤسسات خيرية. على هذا البنية نمت منظمات الارهاب، من القاعدة وحتى داعش. اما الامير فيسعى

الى تجفيف هذا المسار. احد الامريكيين الذي التقاه شبه على مسمعي هجمة الامير على المؤسسة الدينية بسقوط سور برلين. لهذه الدرجة.

على حد قول أمريكيين اثنين التقيتهما في الاشهر الاخيرة، في لقائين مختلفين، فان سيطرة الامير في الحكم السعودية مطلقة. لا يوجد في هذه اللحظة أحد يتجرأ على تحدث حكمه. يحتمل أن يغتالوه، ولكن احتمال النجاح صغير. بخلاف الحكام في دول اخرى، فان الامراء السعوديين لا يكثرون من الظهور على الملأ.

بخلاف نجاحه في الداخل، تبين محمد بن سلمان كفشل ذريع في كل ما يتعلق بالخارج.

فقد أدار في السنوات الاخيرة الحرب في اليمن، ضد الحوثيين، مرعيي الايرانيين. والحرب تفرغ الصندوق ولا تؤدي الى نتائج. كما أن الحصار الذي فرضه على قطر فشل – كل ما حققه هو دفع قطر الى أذرع ايران؛ ناهيك عن الدعم السعودي للجهات المعارضة في سوريا، والذي لم يعط ثمارا؛ والفشل الافظع – اعتقال سعد الحريري، رئيس حكومة لبنان.

لقد اختصت السعودية على مدى السنين بدبلوماسية دفتر الشيكات: فهي لم تعلق كي تجند القوى التي تقاتل من اجل مصالحها. أما ايران فقد نالت الخبرة في حرب وحشية مع العراق صدام حسين واستخلصت الاستنتاجات الصحيحة. ولهذا فان ايران تنتصر والسعودية تنهزم.

في اللقائين طرحت مسألة علاقة الامير باسرائيل وامكانية أن يشارك في مبادرة سلام اقليمية – الارض مقابل اتفاق سلام مع السعودية. في احد اللقائين شطب الموضوع عن جدول الاعمال. وكان الانطباع ان كل ذكر لعلاقاته مع اسرائيل يمس بحربه ضد ايران. وفي اللقاء الاخر قال بثقة انه اذا عرض ترامب خطة يقبلها، فانه سيجلب أبو مازن الى الطاولة. وتحدثت الشائعات عن خطة صعبة للفلسطينيين، تقيم عاصمتهم في أبو ديس. نتنياهو هو الاخر كان سيجد صعوبة في قبول التنازلات الاقليمية المطلوبة منه في الخطة. ومع ذلك، كان يمكنه أن يعرض على ناخبيه الورقة السعودية.

أبو مازن وصل الى الرياض. وحسب تقرير صحفي نشر هذا الاسبوع في "نيويورك تايمز" كانت دعوته ذات علاقة بلبنان. فقد اراد الامير تجنيد الشبان في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ليقاتلوا ضد حزب ا. فشلت الخطة. اعتقال الحريري جاء لخلق أزمة تبعد حزب ا عن حكومة لبنان. وانتهت هذه بمهزلة.

بقيت الشائعات عن خطة السلام الامريكية. وعندها جاء خطاب القدس لترامب.

Mr. Money

"لا شيء ولن يكون شيء ولم يكن شيء ولا يمكن أن يكون شيء"، أيبدو لكم معروفا؟ بالفعل، معروف. ليس نتنياهو هو الذي اخترع هذه الجملة – أ.ب. يهوشع هو الذي اخترعها. وهي منقولة من الرواية الرائعة "سيد ماني" Mr. Money التي كتبها يهوشع في نهاية الثمانينيات. تغطي الرواية 200 سنة في حياة

عائلة يهودية من أصل أسباني (شرقي).

يحتمل أن يكون نتنياهو سمع الجملة ممن قرأها؛ يحتمل أن يكون انجذب لاسم الرواية – لان ماني بالانجليزية هي المال. والناس يرتبطون بالمال، اناس مثل ملتشن، باكر، الوفيتش، ادلسون، كل واحد مهم هو مستر بيغ ماني Mr. Money Big – أثاروا اعجابه. مهما يكن من امر يمكن أن نقول في صالح نتنياهو انه يعرف كيف يستوعب امورا نجحت في اماكن اخرى واستخدامها. وهو يعرف كيف يتعلم.

معلمه في 2017 كان دونالد ترامب. فقد رأى كيف أن ترامب، مرشح واحد من أصل 12 في الحزب الجمهوري، ينجح في السيطرة تماما على جدول الاعمال الاعلامي. الاعلام كان أداة في يده. السؤال ما قيل عنه لم يكن الجواب. باستثناء أن يتحدثوا فقط عنه.

رأى كيف يستخدم ترامب وسائل الاتصال الاجتماعية. وهذه ليست آلية بل لغة وثقافة. امور لا يتجرأ الانسان العادي على قولها تصبح فيروس في الشبكة. اللغة يمكنها أن تكون لغة بيبي. والسلاح هو إهانة الخصم. وعندما يكون الرد محصورا بـ 140 حرف، لا تهم الحقيقة، المعطيات فالمطلوب هو الشتم والرحيل.

سنة 2017 جعلت نتنياهو يلتقي مصيره.

فقد وصل في هذه السنة الى ذروة نجاحه كرئيس وزراء: اقتصاد ناجح، وضع امني معقول، ساحة سياسية كسولة، فزعة، بلا خصوم حقيقيين في حزبه وبلا معارضة. ورئيس وجدي جدا في واشنطن.

ومثلما يحصل غير مرة في السياسة، فان النجاح هو أم الفشل. تهكم نتنياهو يؤدي به الى استسلامات معيبة، هدامة على المدى البعيد، للشارع الأصولي وللوبي المستوطنات. فهو قابل للابتزاز، والتحقيقات تفقده صوابه. وفي هذا ايضا هو يشبه ترامب!

* ناحوم برنياع محلل سياسي إسرائيلي

المصدر | ناحوم برنياع | يديعوت - ترجمة المصدر السياسي